



### ﴿ نموذج من كتاب اسرار البلاغة ﴾

قلنا ان هذا الكتاب يعطى صاحبه البلاغة علماً وعملاً وانما يذكر  
مثلاً لتأييد قولنا جزءاً من الفصل الذي وضعه الامام عبد القاهر في  
مواقع التمثيل وتأثيره في النفوس لان التمثيل اعظم اركان البلاغة ولا نكاد  
نجد في كتب البيان التي تتداولها شيئاً مما كتب هذا الامام كأن مواقع  
التمثيل ومواضعه والبحث في تأثيره في النفوس وهزه للوجدان  
ليس من هذا العلم وما هو الا روح العلم الذي لولاه لم يكن للناس من  
حاجة به . وقد توسعنا في امثلة ضروب التمثيل في الهامش زيادة على ما  
ذكره المصنف لان الامثلة هي امثل طرق التعليم ولا نكاد نجد في  
الكتب التي تدارسها الا مثل « ما لي اراك تقدم رجلاً وتؤخر اخرى »  
فلنعرض عما امتاز العلم من الكتب ولترجع الى كتب الأئمة الذين قرنوا  
العلم بالعمل وإمامهم في فنون البلاغة الشيخ عبد القاهر قال رحمه الله تعالى

## فصل

« في مواقع التمثيل وتأثيره »

واعلم ان مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل اذا جاء في اعقاب المعاني  
او برزت هي باختصار في معرضه<sup>(١)</sup>، ونقلت عن صورها الاصلية الى

(١) يقول ان للتمثيل مظهرين . ويجلي للانظار في توين . أحدهما أن يجيء

صورته كساها ابرهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من اقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار لها من اقاصى الافئدة صباية وكلفاً ، وقسر الطباع على ان تعطيا محبة وشفقاً ،

فان كان مدحاً كان ابهى وافخم ، وانبل في النفوس واعظم ، واهز للعطف ، واسرع لللاف ، واجلب للفرح ، واغلب على الممتدح ، واوجب شفاعته للمدح ، واقضى له بقرّ المواهب والمنائح ، واسير على الالسن واذكر ، واولى بان تعلقه القلوب واجدر ، (١)

المعنى ابتداءً في صورة التمثيل وهو النادر القليل . ولكنه على قلبه في كلام البلاغة كثير في القرآن العزيز فنه قوله تعالى « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » الآية . وقوله بعدها « أو كصيب من السماء » الآية . وقوله عز وجل « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاءً ونداءً » وقوله تبارك وتعالى « مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » الآية وقوله تبارك اسمه « انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زيد مثله » الآية . وغير ذلك . ( وانهما ) ما يتأثر المعاني ويجيء في اعقابها لايضاحتها وتقريرها في النفوس وايداعها للتأثير الخصوص وهو الذي جملة المصنف اولاً ومثاله من القرآن قوله تعالى : « ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون » فقد اورده بعد ما قرر امر التوحيد من اول السورة وشنع على الذين اتخذوا من دونه اولياء يقربونهم اليه زلفى ونصب الدلائل على نفي هذا الشرك وذكر الجزاء . ومثاله من الشعر ما يجيء في ضروب الكلام الآتية

(١) مثاله من القرآن قوله تعالى في وصف الصحابة « ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع » ومن الشعر قولنا في المنصورة :

وان كان ذمًا كان مسةً اوجع ، وميسه أذع ، ووقعه اشد ، وحلته

احد ، (١)

وان حجاجاً كان برهانه انور ، وساطانه اقهر ، وبيانه ابهر (٢)

وان قسا وديده لان وان	يكدر عليه راق ورداً وصفا
لم يخش منه الطيش في شرته	والحلم والاعضاء منه يرتجي
تواضع عن شمم ورفعة	ورقة من غير عجز ووتى
لم تر الهوآء في رفته	ولطفه لديه شدة القوى
يزاحم النجوم في افلاكها	على وكم يمسي يصانح الثرى

والمراد بمزاحة النجوم المبالغة في الارتفاع . ومنها قول بعضهم :

ففي عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتها

(١) مثاله من القرآن قوله تعالى في الذي اوتى الآيات فانسخ منها « فقله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث » وقوله تعالى « انا جعلنا في اعناقهم اغلالاً ففى الى الاذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشىناهم فهم لا يبصرون » ومن الشعر قوله :

رأيتكم تيدون للحرب عدّة	ولا يمنع الاسلاب منكم مقاتل
فأتم كمثل النخل يشرع شوكة	ولا يمنع الخراف ما هو حامل

ومنه المثال :

ولو ابس الحمار ثياب خزم اقال الناس يالك من حمار

(٢) مثاله من القرآن ما تقدم من الآيات في بيان طريق التمثيل ومن الشعر

قول ابي الصاهية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجرى على اليس

وقول غيره :

ونار لو نفخت بها اضاءت ولكن انت تنفخ في رماد

ومن الامثال « ان العوان لا تعلم الحجرة » و « كدابة وقد حلم الأديم » اي افسده الحلم وهو دود صغير

وان كان افتخاراً كان شأوه ابعده ، وشرفه اجد ، ولسانه الله ، (١)  
وان كان اعتذاراً كانت الى القبول اقرب ، وللقلوب اخلب ،  
وللسخائم اسل ، ولعرب الغضب اقل ، وفي عقيد العقود انفت ، وعلى حسن  
الرجوع ابث ، (٢)

(١) ما يبيح في القرآن من بيان عظمة الله تعالى وكاله لا يسمى افتخاراً  
ومثال هذا الضرب من الكلام العزيز وان اختلفت التسمية قوله « وما قدروا الله  
حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه  
وتعالى عما يشركون » ومثاله من الشعر قول عبد المطلب :

لا ينزل المجد الا في منازلنا كلنوم ليس له مأوى سوى المقل

(٢) الاعتذار لا يوجد في القرآن الا حكاية عن اصحاب المعاذير الكاذبة  
ليكون الاعتذار حجة عليهم فهو اعتذار في الظاهر واحتجاج في المعنى وانه ما ذكر  
في الاحتجاج دون ما ذكر هنا كقوله تعالى « وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا  
اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب » واما امثله في الشعر فكثيرة منها :  
لا تحسبوا ان رقصي بينكم طرب فالطير يرقص مذبحاً من الألم  
ومنها في الاعتذار عن صدور الحبيب :

بأبي حبيباً زارني في غفلة فبدا الوشاة له فولي معرضاً

فكأنني وكأته وكأنهم امل ونيل حال بينهما القضا

ومن الاعتذار بذكر التمثيل ما وقع لابي تمام في قصيدة يمدح بها احمد ابن  
المنعم قيل انه كان ينشده ايها فبلغ قوله :

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم اخف في ذكاء اياس

فلامه بعض الناس قائلاً قد شبهت ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم باجلاف العرب

(او ما هذا معناه) فاطرق هنية وقال ولم يكونا من القصيدة :

لا تنكروا ضربني له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس

فأله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والبراس

ومما يصلح للاعتذار من الامثال قولهم « كل امرئ في بيته صبي » يقتربه  
عن العجاة والاستعمال في المبسطة في الخلوة . وقولهم « لو ترك القطا ليلاً نام »

وان كان وعظاً كان اشقى للصدر ، وادعى الى الفكر ، وبلغ في التنبيه والزجر ، واجدر بأن يجلي النياية ، ويبصر الغاية ، وپبرى العليل ، ويشقى الغليل ،<sup>(١)</sup>

وهكذا الحكم اذا استقرت فنون القول وضروبه ، وتبعت ابوابه وشعوبه ،<sup>(٢)</sup> وان اردت ان تعرف ذلك وان كان ثقل الحاجة فيه الى التعريف ،

(١) مثاله من القرآن الكريم قوله تعالى في وصف نعم الدنيا « كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً » الكفار الزراع لانهم يكفرون الحب اى يسترونه بالتراب وقوله تعالى « ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه » الآية وقوله تعالى « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والحيا ل فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » وقوله عز وجل « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت حاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » وقوله سبحانه « فاطم عن التذكرة معرضين . كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة » وقوله « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبث سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة » وقوله في الآية الأخرى « كمثل حبة بربرة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل » وقوله في تمثيل من يحبط عمله الصالح بالايذاء او الرياء « أيود احدكم ان تكون له حبة من نخيل واعداب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاً فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت » وفي معناه قوله تعالى « مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد »

ومن الأمثال حديث « ان المنبت لا ارضاً قطع ولا ظهراً ابقى » وحديث « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » . ومن الشعر قول ابن النبية

الناس للموت نخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد

وقول غيره

وغير تقى يأمر الناس بالتقى طيب يداوي والطيب مريض  
(٢) يشير المصنف الى سائر مناحي الكلام كالغزل والرناء ، والوصف والشكوى وهي

ويستغنى في الوقوف عليه عن التوقيف ، فانظر الى نحو قول البحترى :

دان على ايدي الغفاة وشاسع      عن كل ندفي الندى وضريب

مع الذي ذكر وشأنج متشابكة وامتزاج متمازجة . واعلمها الوصف فهو الطويل الذيل .  
المتدفق السيل . ومن امثله في القرآن قوله تعالى : « ثم استوى الى السماء وهي  
دخان فقال لها وللارض ايا طوعاً او كرهاً قالنا اينا طائنين » ومثله قوله تعالى  
« وقيل يا ارض ابني ماءك ويا سماء اقلبي » الآية ومن ذلك الرؤى فانها تمثّل للواقع  
الذي تعبر به كالرؤى المذكورة في سورة يوسف عليه السلام . ومنها قوله تعالى  
« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء  
تؤتي اكلها كل حين باذن ربها » وقوله بعدها « ومثل كلمة خيثة كشجرة خيثة  
اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار » وهكذا الحق يثبت والباطل يزهدق .

ومثاله من الشعر قول ابن النديه :

والليل تجرى السراري في مجرته      كالروض تطفو على نهر ازاهره  
وقول بعضهم في وصف الكاس يملوها الحباب والساقى : (او هذا من تعدد التشبيه)  
وكأنها وكأن حامل كاسها      اذ قام يجلوها على الندماء  
شمس الضحى رقصت فقط وجهها      بدر الدجى بكواكب الجوزآء  
وفي وصف الأمير والحيش :

يزر الحيش حولك جأبيه      كما ففضت جناحها العقاب

ومنه قولنا في المقصورة في وصف الوفاق :

لم تختلف في مبتدا مسألة      الا وكان للوقاق المتسى  
كن على المحيط من دائرة      انى تفارقا فبعد ملتقى

ومنها في وصف روضة :

والشمس تبدو من خلال دوحها      آونة تخفى وطوراً تجتلى  
ككفادة وضاحة قد أتلت      من خلل السجوف ترنو والكوى  
تلقى على الروض نثر عسجد      فتحسب الروض عروساً تجتلى  
ومنها :

والباسقات رفعت اكفها      تستنزل الغيث وتطلب الندى  
ثبت في العلوم الطبيعية ان الاشجار تكون سبباً لتزول المطر فثقت هنا بحال

كالبدر افرط في الملووضوءه للعصبة السارين جدقريب (١)  
 وفكر في حالك وحال المعنى معك وانت في البيت الاول لم تته الى  
 الثاني ولم تتدبر نصرته اياه ، وتمثيله له فيما يملى على الانسان عيناه ، ويؤدى  
 اليه ناظراه ، ثم قسمها على الحال وقد وقفت عليه ، وتأملت طرفيه ، فانك  
 تعلم بعد ما بين حالتك ، وشدة تفاوتهما في تمكن المعنى لديك ، وتحميه  
 اليك ، ونبله في نفسك ، وتوفيره لأنسك ، وتحكم لي بالصدق فيما قلت ،  
 والحق فيما ادعيت ، (٢)

وكذلك فتمهد الفرق بين ان تقول : فلان يكذب نفسه في قراءة

المستقين بحاج دعاؤهم

وقول ابن دريد في وصف النوق :

يرسبن في بحر الدجى وفي الضحى يطفون في الآل اذا الآل طفا  
 ومن احسن ما يدخل في باب الغراميات قول المجنون  
 وقد كنت اعلو حب ليلي فلم يزل بي النقض والابرار حتى علانيا  
 وقوله :

كان القلب لية قيل يغدى يلبلى العاصرية او يراح  
 قطاة عنرها شرك فبات مجاذه وقد علق الجناح

وقول بعضهم :

ويلاه ان نظرت وانهي اعرضت وقع السهام وتزععن ألم  
 وقول الآخر :

انى واياك كالصاى رأى نهلاً ودونه هوة يخشى بها التلغا  
 رأى بينيه ماء عن مورده وليس يملك دون الماء منصرفا

ومن الامثال التى تدخل من باب الشكوى « ليس لها راع ولكن حلبة » حلبة  
 بالتحريك جمع حالب والمثل يضرب للامة المظلومة . و « لو كويت على داء لم اكره »  
 يضرب لمن يماقب على غير ذنب . و « سال بهم السيل وجاش بنا البحر »  
 (١) اى بالغ الغاية في القرب (٢) مثال المدح ويتلوه مثال الذم

الكتب ولا يفهم منها شيئاً وتسكت . وبين ان تتلو الآية<sup>(١)</sup> وتشد  
قول الشاعر :

زوامل للأشعار لا علم عندهم      بجيدها الا كعلم الأباصر  
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا      بأوساقه او راح ما في الزائر  
والفصل بين ان تقول « اري قوماً لهم بهاء ومنظر ، وليس هناك مخبر ،  
بل في الاخلاق دقة ، وفي الكرم ضعف وقلة ، » وتقطع الكلام . وبين  
ان تتبعه نحو قول الحكيم : « اما البيت فحسن واما الساكن فرديء »  
وقول ابن لنكك :

في شجر السرو منهم مثل      له رواء وما له ثمر  
وقول ابن الرومي :

فندا كالحلاف يورق للعب      ن ويأبى الاثمار كل الايباء

وقول الآخر :

فان طرّة واقتك فانظر فرما      أمرّ مذاق العود والعود اخضر  
وانظر الى المعنى في الحالة الثانية كيف يورق شجره ويثمر ، ويفتر ثمره  
ويبسم ، وكيف تشتار الأري من مذاقته ،<sup>(٢)</sup> كما ترى الحسن في شارته  
وانشد قول ابن لنكك :

اذا اخو الحسن اضحى فعله سمجاً      رأيت صورته من اقبح الصور

وتبين المعنى واعرف مقداره ثم انشد البيت بعده :

وهبك كالشمس في حسن الم ترنا      نفرٌ منها اذا مالت الى الضرر

(١) يريد قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل

اسفاره » (٢) الأري العسل واشتاراه اجتاؤه

وانظر كيف يزيد شرفه عندك . وهكذا فتأمل بيت ابي تمام :<sup>(١)</sup>  
 واذا اراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها السان حسود  
 مقطوعاً عن البيت الذي يليه ، والتمثيل الذي يؤديه ، واستقص في  
 تعرف قيمته على وضوح معناه ، وحسن صريته<sup>(٢)</sup> ثم اتبعه إياه :  
 لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف الجود  
 وانظر هل نشر المعنى تمام حاته ، واظهر المكنون من حسنه وزينته ،  
 وعطرك يعرف عوده ، واراك النصرة في عوده ، وطلع عليك من مطمع  
 سعوده ، واستكمل فضله في النفس ونبله ، واستحق التقديم كله ، الاباليت  
 الاخير ، وما فيه من التمثيل والتصوير ،  
 وكذلك فرق في بيت المتنبي :

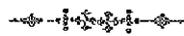
ومن يك ذا فمٍ مريضٍ يجد مرآة الماء الزلالا  
 لو كان سلك بالمعنى الظاهر من المباراة كقولك : ان الجاهل الفاسد  
 الطبع يتصور المعنى بغير صورته ويخيل اليه في الصواب انه خطأ . هل  
 كنت تجد هذه الروعة ؟ وهل كان يبلغ من وقم الجاهل ووقده<sup>(٣)</sup> وقمه  
 وردعه والتهجين له والكشف عن نقصه ما بلغ التمثيل في البيت وينتهي الى  
 حيث انتهى

<sup>(٤)</sup> وان اردت اعتبار ذلك في الفن الذي هو اكرم واشرف فقابل بين  
 ان تقول . ان الذي يعظ ولا يتعظ يضر بنفسه من حيث ينفع غيره .

(١) شروع في مثال الحجاج (٢) وفي نسخة بزته (٣) وقم الرجل قهره واذله  
 ورده عن حاجته اقبح الرد . والوقد الضرب ويسند للكلام تجوزاً (٤) شروع في  
 امثلة الوعظ ولم يمثل للافتخار والاعتذار

وتقتصر عليه وبين ان تذكر المثل فيه على ما جاء في الخبر من ان النبي صلى  
الله عليه وسلم قال « مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذي  
يضيء للناس ويحرق نفسه » و يروي « مثل القتيبة تضيء للناس وتحرق  
نفسها » . وكذا فوازن بين قولك للرجل وانت تعظه « إنك لا تجزي على  
السيئة حسنة فلا تثر نفسك » و تأسك . وبين ان تقول في امره « إنك  
لا تجني من الشوك العنب وانما تحصد ما تزرع » واشباه ذلك . وكذا بين  
ان تقول : لا تكلم الجاهل بما لا يعرفه ونحوه . وبين ان تقول « لا تثر  
الدرّ قدام الخنازير . او لا تجعل الدر في افواه الكلاب » وتتشد نحو قول  
الشافعي رحمه الله : « أأثر درًا بين سارحة النعم » : وكذا بين ان تقول : الدنيا  
لا تدوم ولا تبقى . وبين ان تقول « هي ظل زائل . وعارية تسترد ، ووديعة  
تسترجع » وتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من في الدنيا ضيف  
وما في يديه عارية والضيف مرتحل والعارية مؤذاة » وتتشد قول لبيد :  
وما المال والأهلون الا ودائع ولا بد يوماً ان ترد الودائع  
وقول الآخر :

انما نعمة قوم متعة وحياة المرء ثوب مستعار



### ﴿ الشعر المصري ﴾

من نظم نابغة العصر . في النظم والنثر . حافظ أفندي ابراهيم في المقابلة بين ( دولة  
السيف والرمح ودولة المدفع )

يا دولة القواضب الصقال وصولة النوايل الطوال  
كم شدت بين الأعصر الخوالي ممالكاً عزيزة المنال